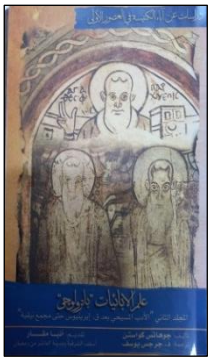

دراسات عن آباء الكنيسة في العصور الأولى

علم الآباء "باترولوجيا" [١]

المجلَّد الثاني: "الأدب المسيحي"
بعد القديس إيرينيئوس حتى مجمع نيقية

جوهانس كواستن [٢]

ترجمة وتقديم: أنبا مقار
أسقف الشرقية ومدينة العاشر من رمضان

هذا هو الكتاب الثاني من هذه الموسوعة القيِّمة عن آباء الكنيسة في عصورها الأولى. وهذا الكتاب يُقدِّم المدارس اللاهوتيَّة المختلفة التي قامت في بداية القرن الثاني للدفاع عن المسيحية ضد مُضطهديها، مستخدمين أسلحة الفكر والذهن.

في الحقيقة، كانت كلما انتشرت المسيحيَّة في العالم القديم، زاد الإحساس بالحاجة إلى شرح مُنظَّم وشامل ودقيق لعقائدها ومبادئها. وكلما كان عدد المُتحوِّلين للمسيحيَّة أكثر، كانت الضرورة مُلحَّة لإعطائهم تعليمًا يتناسب معهم. وهكذا نشأت المدارس اللاهوتيَّة المختلفة في الشرق أولًا، ومِن ثمَّ انتقلت إلى آسيا الصغرى وروما. وهذا هو موضوع كتابنا.

الفصل الأول: مدرسة الإسكندريَّة، هذه المدرسة هي أقدم مركز للعلوم الدينيَّة في تاريخ المسيحيَّة، وقد أعطتها البيئة التي نشأت فيها سِمَاتها المميَّزة، والتي تتمثَّل في سيطرة الاهتمام بالبحث الميتافيزيقي (ما وراء الطبيعة)، لمحتوى الإيمان، ثم الميل للتفسير الرمزي للكتاب المقدَّس. فقد كانوا يعتقدون أنَّ التفسير الحرفي لا يليق بالله. ففي كلِّ حدثٍ وكلِّ سطرٍ من الكلمة المُوحَى بها كانوا يكتشفون فيها رموزًا للمسيح. وكانت تعتقد أنَّ سخاء الله عظيمٌ للدرجة التي يكون معها من غير اللائق أن نعتقد أنَّ هناك تعليمًا واحدًا فقط في نصٍّ مُعيَّن. وأشهر طلبة ومُعلِّمي هذه المدرسة: كليمندس وأوريجانوس وديونيسيوس وبطرس وأثناسيوس وكيرلس... إلخ. ويُعطي الكتاب موجزًا عن أهم كتاباتهم.

---

(١) الكتاب صادر عن مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى: يناير ٢٠١٥، ويقع في ٣٥٩ صفحة.

(٢) عالِم آبائيَّات ألماني الأصل (١٩٠٠- ١٩٨٧)، وبالإضافة إلى موسوعة الباترولوجي له عِدَّة مؤلَّفات: ١- الراهب والشهيد. ٢- ضد الأكاديميين. ٣- الموسيقى والعبادة بين الشعوب الوثنية والمسيحية في العصور القديمة. ٤- رسائل القديس كليمندس أسقف رومية والقديس إغناطيوس الأنطاكي.

الفصل الثاني: مدرسة أنطاكية، وكانت تميل للمدرسة التفسيريَّة. وقد أسَّسها لوسيان الساموساطي (٢٤٠- ٣١٢م)، وكانت على النقيض تمامًا من مدرسة أوريجانوس الرمزية. وقد وجَّهت تلك المدرسة اهتمامًا دقيقًا للنصِّ، وقادت تلاميذها إلى مجال الشرح الأدبي والدراسة التاريخيَّة والنحويَّة للكتاب المقدس. فكان هدفهم هو العثور في الوصيَّة على المعنى الأكثر وضوحًا. ولكن أدَّت هذه الواقعية أن تصبح هي رَحِم الهرطقة. فقد كان لوسيان مؤسِّسها هو مُعلِّم أريوس. ومن تلامذتها غريغوريوس صانع العجائب وبولس الساموساطي ولوسيان الأنطاكي.

الفصل الثالث: بدايات الأدب المسيحي اللاتيني، حيث أصبحت اللغة اللاتينيَّة هي اللغة الرسميَّة في الكنيسة الرومانيَّة. ولم تَعُد الرسائل الباباويَّة تُكتب فقط باليونانيَّة. ويذكر بعض من هذه الرسائل الباباويَّة. وأشهر علماء هذه المدرسة هو هيبوليتوس الروماني (١٧٠- ٢٣٥م)، ويُعتَقَد أنه تلميذ إيرينيئوس الذي كان تلميذًا لبوليكاربوس. وقد تصادم هيبوليتوس مع الباباوات في عصره، فقد كان صارمًا ومُعارضًا لهم في تساهُلهم في قبول الذين جحدوا الإيمان أثناء الاضطهادات، وضد مُسامحة المُذنبين بخطايا كبيرة بعد معموديتهم. وهكذا انفصل عن كنيسة روما وانتُخب أسقفًا مُنشقًّا على روما. وله كثيرٌ من المؤلَّفات في دحض جميع الهرطقات، وتفسير بعض أسفار العهد القديم. وأهم كتاباته هو كتاب: "التقليد الرسولي"، وهو يُقدِّم لنا معلوماتٍ هامة عن السيامات والخُدَّام في الكنيسة ونظام الموعوظين والعماد والإفخارستيا. ويُعتَبَر أهم شهادة على حياة الكنيسة الأولى.

الفصل الرابع: كنيسة إفريقيا، رغم أنَّ هذه الكنيسة قد بدأت متأخرة نسبيًا، إلَّا أنَّ مساهمتها في الأدب المسيحي والفكر اللاهوتي كان أعظم بكثير من مساهمة روما.

وأشهر مُعلِّمي هذه الكنيسة هو: ١- ترتليان (١٦٠-٢٤٠م)، وكان أعظم لاهوتي فيها، وهو أول مَن كتب فيها باللغة اللاتينية، وله الكثير من الكتابات الدفاعية والجدليَّة والنُّسكيَّة. تُعدُّ كتاباته القوام الأول للأدب المسيحي اللاتيني، وصاغ اللاهوت الغربي بلغةٍ واضحة. ٢- القدِّيس كبريانوس (٢٠٠- ٢٥٩م)، انتُخب أسقفًا على قرطاجنة عام ٢٤٩. قاد الكنيسة بنجاح أثناء فترة أسقفيته في إفريقيا. وحدثت في أيامه محنة الطاعون المُخيف الذي دمَّر الإمبرطورية الرومانيَّة، وأيضًا اضطهاد داكيوس للمسيحية. وعانت الكنيسة أيامه من مشكلتين: **الأولى:** هل يتم قبول الجاحدين الذين أنكروا الإيمان وعادوا مرَّةً أخرى؟ **والثانية:** هي الجدل حول صحة المعموديَّة التي قام بها الأساقفة الهراطقة، وهل تُعاد؟ وكتب هذا القدِّيس كثيرًا من الكُتُب والرسائل، وأهم كتبه هو: "في وحدة الكنيسة الجامعة"، والذي يُعتَبَر مفتاحًا لشخصيته. وقد استُشهِدَ في عهد الإمبراطور فاليريان سنة ٢٥٩م.